خلافات زوجية في بيت النبوة

لم يسلم بيت النبوة من تعكير الصفو بالخلافات الزوجية ، فهذا أحب الخلق إلى الله تعالى محمد ﷺ يتحدث إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وقد كانت أحب نساءه إلى قلبه – فيقول لها : « **إني لأعلم إذا كنت عني راضية ، وإذا كنت عليّ غضبى ، قالت** : فقلت : من أين تعرف ذلك يا رسول الله ؟ ، فقال عليه السلام : « **أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين : لا ورب محمد ، وإذا كنت عليّ غضبى قلت : لا ورب إبراهيم ، قالت : قلت : أجل والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك** » [١] .

أي تترك اسمه فقط وقت الغضب ، لكن قلبها يحب شخصه عليه السلام .

---

(١) رواه البخاري .

وذات مرة يحدث بينهما خلاف ، ويحكم بينهما أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، فيقول النَّبي ﷺ لأم المؤمنين عائشة : تتكلمي أو أتكلم ؟! » ، فتقول رضي الله عنها : « تكلم أنت ولا تقل إلا حقاً » ، فلطمها أبو بكر رضي الله عنه حتى أدمى فاها ، وقال : أويقول غير الحق يا عدوة نفسها ؟! ، فاستجارت برسول الله ﷺ ، وقعدت خلف ظهره ، فقال عليه السلام : « **إنا لم ندعك لهذا ولم نرد منك هذا** » (١) .

هذا وقد حدث بين النَّبي ﷺ وبين نساءه رضوان الله عليهن خلاف حول موضوع النفقة ، فجئنه يسألنه النفقة ومتاع الحياة الدنيا ، والنَّبي ﷺ ليس عنده ولم يبخل عليهن بشيء ، فعن جابر رضي الله عنه قال : دخل أبو بكر رضي الله عنه يستأذن على رسول الله ﷺ فوجد الناس جلوساً ببابه لم يؤذن لأحد منهم ، قال : فأذن لأبي بكر فدخل ، ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له ، فوجد النَّبي ﷺ جالساً ، حوله

(١) رواه البخاري.

نساءه ، واجماً « ساكتاً » قال : فقال لأقولن شيئاً أضحك النَّبي ﷺ ولأكلمن النَّبي لعله يضحك! فقال عمر: يا رسول الله لو رأيت ابنة زيد - امرأة عمر - سألتني النفقة آنفاً فوجأت عنقها ، فضحك النَّبي ﷺ حتى بدت نواجزه وقال : « **هن حولي كما ترى يسألنني النفقة** » .

فقام أبو بكر إلى عائشة رضي الله عنها يجأ عنقها ، وقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها ، كلاهما يقول : تسألن رسول الله ﷺ وليس عنده ؟ ، فقلن : والله ما نسأل رسول الله ﷺ شيئاً أبداً ليس عنده ، ثم اعتزلهن شهراً أو تسعاً وعشرين يوماً ثم نزلت الآية ﴿ يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ ﴾ [الأحزاب : ٢٧] ، إلى قوله تعالى ﴿ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب :٢٩] .

قال : فبدأ بعائشة فقال : « **يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمراً أحب ألا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك** » .

قالت : وما هو يا رسول الله ؟ .

فتلا عليها الآية الكريمة ، قالت :

« أفيك يا رسول الله أستشر أبواى؟! ، بل أختار الله ورسوله والدار الاخرة ، وأسألك ألا تخبر امرأة من نساءك بالذي قلت ، قال عليه السلام : « **لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها ، إن الله لم يبعثني معنتاً ولا متعنتاً ولكن بعثني معلماً ميسراً** » (١) .

وقد غضب النَّبي ﷺ من إحدى زوجاته وهجرها شهرين أو ثلاثة .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : « اعتل بعير لصفية بنت حُيي عند زينب فضل ظهر – زائد عن حاجتها – فقال النَّبي ﷺ لزينب: « أعطيها بعيراً » ، فقالت : أنا أُعطي تلك اليهودية ؟! . فغضب النَّبي ﷺ وهجرها ذا الحجة

---

(١) رواه مسلم .

والمحرم وبعض صفر »[١] .

ويدخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه ذات مرة على رسول الله ﷺ فيسمع صوت ابنته عائشة – أم المؤمنين – عالياً على رسول الله ﷺ ، فلما دخل تناولها ليلطمها ، قال : لا أراك ترفعين صوتك على رسول الله ! .

فجعل النَّبي ﷺ يحجزه ، وخرج أبو بكر مغضباً ، فقال عليه السلام لعائشة رضي الله عنها : – حين خرج أبو بكر – كيف رأيتني أنقذتك من الرجل ! فمكث أبو بكر أياماً ثم استأذن على رسول الله ﷺ فوجدهما قد اصطلحا فقال لهما : أدخلاني في سلمكما ، كما أخلتماني في حربكما ، فقال رسول الله ﷺ : « **قد فعلنا ، قد فعلنا** »[٢] .

لقد كان عليه السلام رحيماً بنساءه عالماً بطبائعهن ، صبوراً على أخلاقهن ، خاصة غيرتهن من بعضهن فكثيراً ما

---

(١) رواه أبو داود عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها .

(٢) رواه أبو داود عن النعمان بن بشير رضي الله عنه .

حدثت خلافات بين النَّبي ﷺ وبين زوجاته أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن بسبب غيرتهن من بعضهن البعض .

وهذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تحكي قصة غيرتها من صفية بنت حيي وإساءتها القول مع رسول الله ﷺ قالت رضي الله عنها : « خرجت مع رسول الله ﷺ وأخرج معه نساءه ، وكان متاعي فيه خف ، فكنت على جمل ناج « يعني قوي » وكان متاع صفية فيه ثقل وكانت على جمل بطيء فتباطأنا ، فقال عليه السلام : « حولوا متاع عائشة على جمل صفية ، وحولوا متاع صفية على جمل عائشة ليمضي الركب » .

فلما رأيت ذلك قلت : يا لعباد الله ! غلبتنا هذه اليهودية على رسول الله ﷺ ! .

فقال رسول الله ﷺ : « يا أم عبد الله إن متاعك كان فيه خف ، ومتاع صفية كان فيه ثقل ، فبطأ الركب ، فحولنا متاعها على بعيرك ، وحولنا متاعك على بعيرها » .

قالت عائشة رضي الله عنها : فقلت : ألست تزعم أنك رسول الله ؟ قالت : فتبسم رسول الله ﷺ فقال : أفي شك أنت يا أم عبد الله ؟ .

قلت : ألست تزعم أنك رسول الله فهلا عدلت ؟!! .

فسمعني أبو بكر رضي الله عنه وكان فيه ضرب من حدّة فأقبل عليّ يلطم وجهي ، فقال عليه السلام : مهلاً يا أبا بكر » .

قال : يا رسول الله أما سمعت ما قالت ؟ .

قال عليه السلام : « **إن الغيري لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه** »[١] .

واتفقت ذات مرة عائشة وحفصة رضي الله عنهما على أمر أحزن النّبي عليه السلام ونزل بشأنه قرآنا يتلى إلى يوم الدين ، ونترك الحديث لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت :

« كان يمكث رسول الله ﷺ عند زينب بنت جحش

---

(١) رواه ابن حبان .

ﷺ ويشرب عسلاً ، فتواطأت أنا وحفصه إن أيتنا دخل عليها النَّبي ﷺ فلتقل له : إني أجد منك ريح مغافير [١] ، أكلت مغافير ، فدخل على إحداهما عليه السلام ، فقالت ذلك فقال: لا بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ولن أعود إليه ، فنزلت ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ [التحريم : ١ – ٤] ، ونزل قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ ﴾ [التحريم : ٣] .

لقوله عليه السلام : « بل شربت عسلاً » وقال إبراهيم بن موسى عن هشام ، بل لقوله عليه السلام « **لن أعود وقد حلفت فلا تخبري بذلك أحداً** » [٢] .

ظنت عائشة وحفصة رضوان الله عليها أن تلك الوسيلة التي جنحتا إليها ستجعل النَّبي عليه السلام لا يمكث عند زينب

---

[١] صمغ حلو يسيل من شجر العرفط رائحته غير مستحبة .
[٢] رواه البخاري ومسلم ، واللفظ هنا للبخاري .

ويشرب العسل « ذلك لغيرتهما من زينب رضي الله عنهما » .

ولكن جاءت الرياح بما لا تشتهي السفن ، فتطور الأمر ، والذي طوّره إفشاء حفصة لسّر رسول الله ﷺ وإخبار عائشة بذلك ، فقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ ﴾ [التحريم : ٣] ، أي فلما أخبرت حفصة عائشة وحكى الله عنهما بقوله عليه السلام : « بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ولن أعود » .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ [التحريم : ٣] ، يعني وأطلع الله سبحانه وتعالى نبيه بقول حفصة لعائشة ، فعرف بعضه حفصه وأعرض عن بعضه تكرماً واغفاءاً منه عليه السلام ، حتى قال الله تعالى : ﴿ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ [التحريم : ٤] ، القول موجه إلى عائشة وحفصة رضي الله عنهما ، وقيل أن النّبي ﷺ طلق حفصة لهذه الفعلة ثم راجعها عليه السلام حين نزلت: ﴿ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ ﴾ [الطلاق : ٦٥] . قيل نزلت

حين خرجت حفصة مطلقة من بيت رسول الله ﷺ إلى بيت أبيها ، ذكره الكلبي .

وقصص غيرة نساء النَّبي عليه السلام كثيرة ، وفيما ذكرنا عبرة وعظة لمن ظن أن الحياة الزوجية بلا مشاكل ولا خلافات ، أو أن السعادة الزوجية تعني خلو الحياة من المشاكل ... كلا .

وبرغم تلك المشاكل فقد كانت بيوت النَّبي عليه السلام تغمرها البهجة والسرور والحب ، ولم تكن تلك المشكلات إلا مثل .

فقد سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : كيف كان رسول الله ﷺ إذا خلا مع نسائه ؟ .

قالت : « **كالرجل من رجالكم ، إلا أنه كان أكرم الناس ، وألين الناس ، ضحاكاً بسّاماً** »[1] .

---

(١) انظر ابن سعد « ١ / ٩١ » .

أمثلة لمشكلات زوجية
على عهد رسول الله ﷺ

● **تصرف رسول الله ﷺ مع زوج ابنته علي رضي الله عنه عند خلافه مع فاطمة رضي الله عنها :**

ذهب رسول الله يزور ابنته فاطمة في بيتها ، فلم يجد زوجها علياً رضي الله عنه فقال : « أين ابن عمك ؟! » .

قالت : كان بيني وبينه شيء ، فغاضبني ، فخرج .

فقال النَّبي ﷺ لسهل بن سعد : انظر أين هو ؟ .

فقال سهل : هو في المسجد راقداً يا رسول الله .

فجاء وهو مضطجع وقد سقط رداؤه عن شقه فأصابه تراب ، فجعل النَّبي ﷺ يقول : قم يا أبا تراب .

قال سهل : « وما كان له اسم أحب إليه منه » [1] .

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

هكذا كانت مداعبة رسول الله ﷺ زوج ابنته ومصالحته ، ودعوته للقيام ليذهب إلى بيته ، معلماً الآباء عدم التعنت مع أزواج بناتهم ، مثل الذي نراه من حبس الرجل ابنته عن زوجها وتصميمه بأن يقدم الزوج الولاء والقرابين لتعود إليه زوجته ، ظاناً بذلك أنه يعطي للزوج درساً بعدم إغضاب زوجته ، ولا يعلم أنه ربما تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن ويسوء الأمر ويتخذ الزوج ما يكون من شأنه تدمير الأسرة أو يزداد عناده ويرفض تعنت أبو الزوجة ويقع أبوها في حرج إما أن يرجع ابنته لزوجها أو يتسبب في خراب بيتها .

● **زوجة صفوان بن المعطل تشتكيه لرسول الله ﷺ:**

دخلت زوجة صفوان بن المعطل على رسول الله ﷺ تشتكي وزجها فلخصت الشكوى في ثلاث نقاط ، فقالت:

يا رسول الله : زوجي صفوان بن المعطل يضربني إذا صليت ، ويفطرني إذا صمت ، ولا يصلي الفجر حتى

تطلع الشمس .

قال ﷺ وعنده جمع من أصحابه فيهم صفوان :

فسأله عما قالت ؟ .

قال صفوان : يا رسول الله أما قولها يضربني إذا صليت فإنها تقرأ بسورتين وقد نهيتها .

فقال ﷺ : « ولو كانت سورة واحدة لكفت الناس » .

قال : وأما قولها : « يفطرني إذا صمت [١] فإنها تنطلق تصوم وأنا رجل شاب فلا أصبر ! .

قال عليه السلام : لا تصوم المرأة إلا بإذن زوجها » .

وأما قولها : إني لا أصلي حتى تطلع الشمس فإنّا أهل بيت قد عرفت عنا ذاك ، لا نكاد نستيقظ حتى تطلع الشمس قال عليه السلام : « **فإذا استيقظت يا صفوان فصل !** » [٢] .

---

(١) يقصد صوم النفل وليس الفريضة .

(٢) رواه أبو داود وابن ماجه .

هكذا يسمع النَّبي ﷺ من الطرفين ، يسمع الشكوى ويسمع الرد ، وهكذا يجب أن يكون الحكم فلا يتسرع في الحكم بمجرد سماع طرف دون آخر .

فالذي يستمع لشكوى هذه المرأة قبل أن يعرف الرد ، يظن أن زوجها ينهاها عن عبادة الله ويسير بها نحو طريق العصيان ، لكن بعد أن يستمع لرد الزوج يرى وجاهته ، وأن زوجته ربما منعته حقه بكثرة نوافلها ، وما كان الأمر يوماً بكثرة القراءة أو طول الصلاة أو كثرة الصيام ، وإنما بمقدار ما يعود على المرء من صلاته وصيامه من إيمان وتقوى وخلق ويقين ، وقد يحدث العكس فينشغل الزوج بعبادة الله تعالى مهملاً حق زوجته كما في قصة أبي الدرداء وزوجته ... .

● **إهمال أبو الدرداء زوجته :**

آخى رسول الله ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء رضي الله عنهما ، فزار سلمان أبا الدرداء ، فرأى أم الدرداء رضي الله عنها مبتذلة .

فقال لها : ما شأنك ؟ .

قالت : أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا .

فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً ، فقال : كل فإني صائم ، قال سلمان : ما أنا بآكل حتى تأكل ، فأكل ... .

فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم [١] ، قال : نم ، فنام ، ثم ذهب يقوم ، فقال : نم ، فلما كان من آخر الليل قال سلمان : قم الآن .

فصليا فقال له : سلمان : إن لربك عليك حقاً ، ولنفسك عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً ، فأعط كل ذي حق حقه ، فأتى النَّبي ﷺ فذكر ذلك له قال عليه السلام : « صدق سلمان » [٢] .

« رحم الله أبا الدرداء لقد كان يدفع عنه الدنيا

---

(١) كان يريد أن يقوم الليل كله ، فأرشده سلمان لينام ويقوم بعضه .
(٢) رواه البخاري .

بالراحتين والصدر » ، هكذا كان يصفه أصحابه ، فقد كان من السابقين نحو ثواب الآخرة .

ولكن هل يعني هذا إهمال الزوجة وعدم أداء حقها في المتعة الحلال ؟! ، وإذا كان أبو الدرداء قد أهمل زوجته ليتفرغ للعبادة فإن هناك – في زمننا هذا – من يهمل زوجته ليتفرغ للدنيا ويجمع ما يقدر عليه من المال !!! ، وفي هذا إفساد أي فساد للأسرة ، وللعلاقة الزوجية وللمجتمع ككل .

• **وامرأة عثمان بن مظعون تشتكي لنفس السبب :**

دخلت امرأة عثمان بن مظعون على أزواج النَّبي ﷺ سيئة الهيئة في أخلاق لها [1] ، فقلن لها : مالك ؟! .

قالت : أما الليل فقائم ، وأما النهار فصائم .

---

(١) أخلاق لها : يعني ثياب بالية .

فأُخبر النَّبي ﷺ بقولها ، فلقي عثمان بن مظعون فلامه فقال : أما لك بي من أُسوة ؟! قال : بلى ، جعلني الله فداك يا رسول الله، فجاءت بعد ذلك حسنة الهيئة (١) .

وأخرج أبو نعيم مثل هذه القصة عن عبد الله بن عمرو بن العاص فبعث رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن عمرو فقال : « **أتصوم النهار؟**، قال: نعم ، **قال : أتقوم الليل؟** ، قال: نعم، قال عليه السلام : **لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأنام ، وأمسّ النساء ، فمن رغب عن سُنتي فليس مني** » .

● **امرأة لا تردّ يد لامس :**

شكا رجل إلى النَّبي ﷺ أن امرأته لا تردّ يد لامس ! .

قال ﷺ : طلقها .

قال الرجل : إني أخاف أن تتبعها نفسي .

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية « ١/ ١٠٦» وانظر ابن سعد «٣/٣٩٤» بنحوه .

فقال عليه السلام : « **استمتع بها** »[١] .

والمعني في قول الرجل : « لا ترد يد لامس » أي لا تبعد نفسها عمن حاول لمسها أو معاكستها ، فإن الرجل لم يشك لرسول الله ﷺ بأن امرأته كانت تزني ، وإلا لما أمره رسول الله ﷺ على أن يقيم مع بغي ، وزوج البغي ديّوث ، وإنما شكا من أنها كانت لا تجذب نفسها ممن وضع يده عليها أو جذب ثوبها ، ولكنها مع ذلك عفيفة إذا أريد منها الزنى ، وكان ذلك عادة كثير من نساء العرب ، وكانوا لا يعدون ذلك عيباً »[٢] .

والظاهر – والله أعلم – أن المرأة كانت حديثة عهد بالإسلام ، ولم تكن أخلاقها قد تعدّلت وتطوعت له ، فكان فيها شيء من جاهلية العرب ، وحين شكا الزوج ذلك السلوك لرسول الله ﷺ وكان مضطرباً ، أراد رسول الله

---

(١) رواه أحمد والنسائي .

(٢) روضة المحبين « بتصرف » الإمام ابن القيم .

ﷺ أن ينهى حالة التردد هذه عند الرجل وأن لا يجعله يعيش حياته الزوجية متوتراً قلقاً لا يصبر على سلوك زوجته فأمره بطلاقها ، فلما رأى من الرجل تعلقه الشديد بها عدل عليه السلام عن قوله الأول بقوله « فتمتع بها » حتى لا تحدث فتنة أشد ، فهنا اتبع قاعدة أخف الضررين ، حتى يأذن الله ويصلح حالها .

● الصحابي الذي عاد من سفره فوجد مع زوجته إنسان نائم :

ذكر بن حجر في الإصابة أن أحد أصحاب رسول الله ﷺ عاد من سفره ليلاً ليدخل على زوجته ، فوجد بجانبها إنسان طويل نائم ، فأخرج السيف من غمده وهمّ بضربه ، ولكن تريث قليلاً ، فغمز زوجته بالسيف قائلاً : من هذا ؟! .

قالت : هذه فلانة الماشطة ، جاءت لتصلح لي شأني ، فتأخرت ، فباتت معي .

فذهب الصحابي رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ بعد الصلاة وقص عليه قصته ، فقال ﷺ : « **إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرقن أهله ليلاً** » ،وفي رواية « **نهى أن يطرق الرجل أهله ليلاً كي تمشط الشعثه وتستحد المغيّبة** » [١] الحديث .

وعند الليل غالباً ما تكون المرأة غير مستعدة ونائمة ، فيجب أن يخبر الزوج زوجته قبل مجيئه حتى تستطيع أن تصلح من شأنها فتقابل الزوج في أحس صورة ، ومع تقدم وسائل الإتصالات في هذا العصر فلا يبخل الزوج على زوجته بإتصال تليفوني يخبرها بموعد وصوله .

● **زوجة ثابت بن قيس تطلب الفراق :**

أتت امرأة ثابت بن قيس بن شماس [٢] إلى رسول الله

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) هي جميلة بنت أبيّ الخزرجية ، أخت عبد الله بن أبي بن سلول ، انظر ترجمتها في الإصابة « ٢٦٣/٤ - ٢٦٤ » .

ﷺ فقالت : يارسول الله ثابت بن قيس لا أعتب عليه في خلق ولا دين ، ولكني أكره الكفر في الإسلام [١] ، فقال عليه السلام : أتردين عليه حديقته [٢] ؟ قالت : نعم ، قال عليه السلام لثابت : « اقبل الحديقة وطلقها [٣] » [٤] .

فقد تكره المرأة زوجها كرهاً شديداً لا تستطيع تحمله ولا تطيق معاشرته وعندئذ يجوز لها أن تطلب أن تختلع منه ، لأن في استمرارها معه فساد دينها ودنياها ، كما أن الزواج في هذه الحالة لا يحقق مقاصده التي يناط به تحقيقها .

فانظر إلى رحمة الإسلام ، فإنه وإن كره الطلاق وجعله أبغض الحلال إلى الله فإنه لم يحرمه ، لأنه قد تطرأ

---

(١) تقصد كفران العشير بسوء معاملتها زوجها لبغضها الشديد له ، ففي رواية الطبراني للحديث قولها : « وإني لا أطيقه بغضاً » .

(٢) المهر الذي أمهرها إياه ، وقد كان ذلك أول خلع في الإسلام .

(٣) أي طلقة واحدة .

(٤) رواه البخاري وغيره .

على الحياة الزوجية ظروف تصبح معها مستحيلة ، وحين يصبح الزوجان ويمسيان وسط خناق ومشكلات ، ويختلفان على كل كبيرة وصغيرة ، فكيف تستكمل الأسرة أهدافها وتحقق مقاصدها ، بل كيف يعيش الأولاد في هذا الجو المشحون دائماً بالمشكلات ، وكيف سيصبحون أولاداً صالحين في المستقبل ؟! .

- **وامرأة رفاعة تريد الرجوع إليه بعد الطلاق البائن :**

« جاءت امرأة رفاعة القرظي إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله : إني كنت عند رفاعة ، فطلقني فبت طلاقي [١] فتزوجني بعده عبد الرحمن بن الزبير ، وما معه إلا مثل هدبة الثوب [٢] فقال عليه السلام : « **أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة ؟!** ، قالت : نعم ، **قال : لا حتى**

---

(١) أي طلقها طلاقاً بائناً « بينونة كبرى » .
(٢) كناية عن عدم قدرته على النكاح .

تذوقي عسيلته [١] **ويذوق عسيلتك** » [٢] .

كثير من الأزواج يتسرع فيصدر حكمه بإنهاء العلاقة الزوجية بالرغم من حبه زوجته ، ووجود الأولاد بينهما ، حتى إذا وصل إلى التطليقة الثالثة ووقعت الكارثة أخذ يبحث عن مخرج ليعود إلى زوجته مرة ثانية متحدياً حكم الله ، فيبحث عن محلل وهو ملعون بنص حديث رسول الله ﷺ : « **لعن الله المحلل والمحلل له** » [٣] .

وقد جعل الله ذلك حتى يأخذ الزوجات العبرة والعظة ولا يجعلان الطلاق لعبة يلجأن إليها كلما حلت بهما مشكلة صغيرة أو كبيرة، فلا يحل لها الرجوع إلا بعد أن تنكح زوجاً غيره ثم يطلقها بعد أن يستكملا معنى الزواج بأن يعاشر الرجل زوجته وتعيش معه وترى أخلاقه وصفاته، فإن طلقها ذلك الزوج الثاني فيجوز لها الرجوع للزوج الأول .

---

(١) مجاز عن قليل الجماع .
(٢) رواه البخاري ومسلم .
(٣) رواه النسائي والترمذي .

● **عبد الله بن عمر يطلق زوجته ورسول الله ﷺ يأمره بأن يراجعها :**

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : طلقت امرأتي وهي حائض فذكر ذلك عمر للنبي ﷺ : فتغيظ رسول الله ﷺ ثم قال : « **مره أن يراجعها حتى تحيض حيضة أخرى مستقبلة ، سوى حيضتها التي طلقها فيها ، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهرة من حيضتها قبل أن يمسها** [١] ، **فذلك الطلاق للعدّه كما أمر الله** » [٢] .

وفي الحديث اشارة إلى النهي عن تطليق الزوجة أثناء الحيض أو في طهر لم يمسّها فيه الزوج ، وهو ما يسمى في الفقه « الطلاق البدعي » أي المحظور الذي لا يوافق السُّنة ، وذلك رحمة من الله بعباده لأن المرأة حال الحيض يعتريها تغيرات جسمية وفسيولوجية ونفسية [٣] قد تغير

---

(١) المس هنا بمعنى الجماع .

(٢) رواه مسلم .

(٣) راجع كتابنا « كيف تعيش حياة زوجية سعيدة » .

طباعها ويحدث أثناء هذه الفترة الكثير من المشكلات بين الرجل وزوجته ، فقد أمر الشارع سبحانه وتعالى الرجل بالصبر عندئذ على زوجته حتى تمر هذه الفترة بسلام ، وألاّ يعوّل كثير على تصرفاتها ، وانفعالاتها ، كما أن طلاقها أثناء الحيض فيه ظلم لها بتطويل فترة العدة عليها حيث أن الحيضة التي كانت فيها لا تحتسب .

ولكن ماذا إذا وقع هذا الأمر وطلق الرجل زوجته أثناء الحيض أو في طهر لم يمسّها فيه ، هل يقع هذا الطلاق ويحتسب طلقة أم لا يقع ، فيه خلاف ، والأرجح ما ذهب إليه جمهور الفقهاء بوقوع هذا الطلاق واحتسابه طلقة واحدة ، استناداً لنص الحديث السابق حيث نص على قوله ﷺ : « **فليراجعها** » والمراجعة لا تكون إلا بعد وقوع الطلاق ، والله أعلم .

• الزوجة التى افترت على زوجها زوراً فضربها عمر رضي الله عنه بالدرة :

عن كهمس الهلالي قال : كنت عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه فبينما نحن جلوس عنده إذا جاءت امرأة فجلست إليه ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، إن زوجي قد كثر شره ، وقل خيره ، فقال لها : من زوجك ؟ .

قالت : أبو سلمة ، قال : إن ذلك رجل له صحبه وإنه لرجل صدق ، ثم قال عمر لرجل عنده جالس : أليس كذلك ؟ قال : يا أمير المؤمنين لا نعرفه إلا بما قلت ، فقال لرجل : قم فادعه لي ، فقامت المرأة حين أرسل لزوجها فقعدت خلف عمر ، فما لبث حتى جاءا معاً ، حتى جلس بين يدي عمر ، فقال عمر : ما تقول في هذه الجالسة خلفي ؟ قال : ومن هذه يا أمير المؤمنين ؟! .

قال : هذه امرأتك ، قال : وماذا تقول ؟! .

قال : تزعم أنه قد قل خيرك وكثر شرك ، قال : بئسما

قالت يا أمير المؤمنين ، إنها لمن صالح نسائها ، أكثرهن كسوة ، وأكثرهن رفاهية بيت ، ولكن فحلها بلى .

فقال عمر للمرأة : ما تقولين ؟ قالت : صدق ، فقام عمر إليها بالدرة فتناولها بها ، ثم قال : أي عدوة نفسها ، أكلت ماله ، وأفنيت شبابه ، ثم أنشأت تخبرين بما ليس فيه ! .

قالت يا أمير المؤمنين : لا تعجل فوالله لا أجلس هذا المجلس أبداً ، فأمر لها بثلاثة أثواب ، فقال : خذي هذا بما صنعت بك ، وإياك أن تشتكي هذا الشيخ ، قال : فكأني أنظر إليها قامت ومعها الثياب .

ثم أقبل على زوجها فقال : لا يحملنك ما رأيتني صنعت بها أن تسيء إليها ، فقال: ما كنت لأفعل ، قال : فانصرفنا ، ثم قال عمر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **خير أُمتي القرن الذي أنا منهم ، ثم الثانى، ثم الثالث ، ثم ينشأ قوم يسبق إيمانهم شهادتهم ، يشهدون من غير**

أن يستشهدوا ، لهم لغط في أسواقهم » [١] .

● هذه الزوجة يباح لها الكذب !! .

أخرج بن جرير عن أبي غرزة رضي الله عنه أنه أخذ بيد ابن الأرقم رضي الله عنه فأدخله على امرأته ، فقال : أتبغضيني ؟! قالت : نعم ، قال بن الأرقم : ما حملك على ما فعلت ؟!! قال : كثرت على مقالة الناس [٢] ، فأتى ابن الأرقم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأخبره ، فأرسل إلى أبي غرزة فقال له : ما حملك على هذا ؟! قال : كثرت عليّ مقالة الناس ، فأرسل عمر إلى امرأته فجاءته ومعها عمة منكرة فقالت : إن سألك فقولي : استحلفني فكرهت أن أكذب ، فقال عمر : ما حملك على ما قلت ؟! ، قالت : إنه استحلفني فكرهت أن أكذب ، فقال عمر : بلى فلتكذب إحداكن ولتجمل [٣] فليس كل البيوت تبني

(١) ذكره ابن حجر في الإصابة ح ٤ ، ورواه البخاري في تاريخه .
(٢) وذلك لكثرة زواجه وتطليقه النساء .
(٣) تقول القول الجميل .

على الحب ، ولكن معاشرة على الأحساب والإسلام » .

وعمر رضي الله عنه لم يفتي بمخالف للسنة ، فقد سبق حديث مسلم فيما يباح من الكذب ، وفيه : « المرأة تحدث زوجها والرجل يحدث زوجته » .

إن البيوت تحتاج إلى المجاملة أحياناً كثيرة ، حتى وإن كان الرجل يحب زوجته وزوجته تحبه ، لأن الحب يمر بأوقات فتور ، وإن ما يزكّيه الكلام الطيب والمجاملة والمديح والثناء على المحبوب ، وقول أمير المؤمنين « فليس كل البيوت تبنى على الحب » ، يعني أن هناك رسالة عظيمة للبيت المسلم ألا وهي تربية الأبناء وتقويم سلوكهم والعبور بهم إلى بر الأمان ، والعشرة بين الرجل وزوجته على العسر واليسر والحلو والمر ... كل هذا يقوى الرابطة الزوجية ويجعل منها رباطاً قوياً لا تنفصم عراه بسهولة ... .

● مقالة امرأة بليغة في زوجها :

روي ابن سعد عن الشعبي قال : جاءت امرأة إلى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فقالت : أشكو إليك خير أهل الدنيا إلا رجل سبقه بعمل أو عمل مثل عمله ، يقوم الليل حتى يصبح ، ويصوم النهار حتى يمسي ، ثم تجلاها الحياء ، فقالت : أقلني يا أمير المؤمنين .

فقال : جزاك الله خيراً ، فقد أحسنت الثناء ، قد أقلتك ، فلما ولت قال كعب بن مسور : يا أمير المؤمنين لقد أبلغت إليك في الشكوى ، فقال عمر : ما اشتكت ؟!! .

قال كعب بن مسور : زوجها ، فقال لكعب : اقض بينهما ، قال : أقضي وأنت شاهد ؟! ، قال : إنك فطنت إلى ما لم أفطن إليه .

قال كعب رضي الله عنه : فإن الله تعالى يقول : ﴿ فَانكِحُوا

مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ [النساء : ٣] ، صم ثلاثة أيام ، وأفطر عندها يوماً ، وقم ثلاثة ليال وبت عندها ليلة ، فقال عمر : لهذا أعجب إلى من الأول ، فبعثه قاضياً لأهل البصرة » [(١)] .

ولعل عمر رضي الله عنه لم يفطن لشكوى المرأة ظناً منه أنها أرادت أن تشتكي زوجها ، فلما ذكرت محاسنه رجعت عن شكواها فاكتفت بمدحه والثناء عليه ، وذلك لكثرة مشاغله رضي الله عنه بأمور الخلافة ، والله أعلم .

(١) انظر الإصابة « ٣ / ٣١٥ » .